المسلمة والإذاعة الألمانية

لو كان سهماً واحداً لاتقيته***
ولكنه سهم وثان وثالث

لا أدري لماذا تذكرت هـذا الـبيت من الشـعر حينما كنت أحـرك مؤشر المـذياع بحثـاً عن إذاعة ما خالية من التشـويش فـإذ بإذاعة تتحـدث اللغة العربية من تلك الإذاعـــــــات الموجهة ألا وهي "الإذاعة الألمانية". فأوقفت الحركة لأسـمع حـواراً بين المذيعة وامرأة فلسطينية. فماذا كان موضوع البرنامج؟

لقد كـان حـواراً مع امـرأة فلسـطينية دعيت هي وزميلات لها من قِبَل الحـــزب الاشـــتراكي الألمـــاني لزيـارة ألمانيا والاجتمـاع بالجمعيـات والاتحـادات النسـائية الألمانيـة. وسـألت المذيعة الضـيفة عن رأيها في وضع المـرأة العربية فـأثنت على المــرأة الجزائرية في أثنــاء حــرب التحرير حيث شاركت في النضال مشـاركة فعالـة، ولكنها تنعي عليها الآن عودتها إلى الـبيت وتـرك سـاحة النضال. وطالبت الضـيفة الفلسـطينية أن تشـارك المـــرأة الفلســـطينية في الإدارة وفي غيرها من الأعمـــال ســـعياً لتحقيق المســـاواة بين الرجل والمرأة.

وانتهى الحـوار لتبـدأ التسـاؤلات في ذهـني حـول أهـداف دعـوة الحـزب الاشـتراكي الألمـاني

لنساء فلسطينيات لزيارة ألمانيا. فهاهي واحدة منهن تدعو إلى المساواة (المزعومة) وخروج المرأة من بيتها. ولا شك أن مثل هذه الدعوة تجد تأييداً ودعماً قوياً من الجمعيات النسائية الألمانية لأنه انتصار لمبادئهن وقيمهن الغربية التي أخرجت المرأة من مكانتها التي خلقها الله لها.

وتساءلت كم من البرامج واللقاءات التي تقدمها(الإذاعة الألمانية) تخصصها لتشجيع هذه الاتجاهات في بلادنا العربية الإسلامية لنبقى في دائرة التقليد لغيرنا من الأمم. ولا أدري هل تحرص هذه الإذاعة على " الموضوعية" التي تتشدق بها الإذاعات الموجهة فتعرض لنا الآراء التي تخالف التوجهات الغربية ، وتنادي بالحفاظ على مكانة المرأة السامية التي نادى بها الإسلام؟

ولكنّي سرعان ما طرحت فكرة (الموضوعية) جانباً وقلت أية موضوعية هذه التي أنتظرها من الإذاعات الموجهة فالغرب كل الغرب لا يرى في الدنيا إلاّ قيمه ومبادئه. فهذا وزير خارجية ألمانيا كلاوس كينكل الذي كان يرأس الاتحاد الأوروبي يدافع عن المارقة تسليمه نسرين دفاعاً مستميتاً، وينادي بشدة (كأن له الحق في هذه المطالبة) بان تمنح حكومة بنجلاديش الحرية لهذه المارقة لتخرج إلى أي مكان تشاء. وتذكرت عدة مقالات للكاتب الأستاذ فهمي هويدي التي يستعرض فيها تزعم ألمانيا لنشاطات سياسية داخل القارة الأوروبية للتحذير

والتخويف من الحركات الإسلامية التي يصفونها خطأ ب(الأصولية) وتذكرت أيضاً أن ألمانيا تعامل اللاجئين إليها من بعض البلاد الإسلامية معاملة مشوبة بالقسوة وتقييد الحرية.(*)

لم أتعجب طويلاً فألمانيا هي بلد مارتن لوثر زعيم حركة المحتجين لذي عرف الإسلام معرفة جيدة وقادته هذه المعرفة ليثور على استبداد الكنيسة الكاثوليكية ، وينادي بأمور لم تكن لتخطر على بال أوروبي لولا احتكاكه بالثقافة الإسلامية. ورغم هذا الفضل فقد كان لوثر من أشد المعادين للإسلام وبخاصة الدولة العثمانية التي كانت القوة العظمى حينذاك.

ولم أتعجب لموقف ألمانيا فهو التي ما تزال حتى يومنا هذا تقدم المساعدات السخية لدولة العدو الصهيوني بحجة التعويض عن جرائم زعم أن الحكومة النازية قد ارتكبتها في حق اليهود فخمسون سنة من الكرم المتواصل لا تكفي لغسل تلك الذنوب.

* - في هذا اليوم الذي أعيد طباعة هذا المقال (16جمادى الأولى 1418، 17سبتمبر 1997)نشرت **الشرق الأوسط** تقريراً مطولاً عن قيام السلطات الألمانية بحملة واسعة لترحيل اللاجئين إليها أو المقيمين من غير الألمان . وقد نقلت الصحف أنباء بعض الأعمال الإجرامية التي قام بها بعض الألمان ضد المسلمين من أصل تركي.

نعم " لو كان سـهماً واحـداً لاتقيته "([**])لأنه في الـوقت الـذي تـدعو فيه ألمانيا هـؤلاء النسـوة فإن الأندية الأدبية ومؤسسـات البحث العلمي في أوروبا وأمريكا تكــرم كثــيراً من الخــارجين على أمتهم وتحتفي بهم وتـــروج لأفكـــارهم زاعمة أنها تمثل الإسلام . ولو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث.

[**] في صــبيحة يــوم الاثــنين 14جمــادى الأولى (13 ســبتمبر 1997) استضافت إذاعـة لنـدن (القسـم العـربي) أحـد المسـؤولين التونسـيين ليتحدث في برنامج حول العالم العربي عن ندوة تعقد في تـونس هـذه الأيام حول المرأة . وقد أشاد بالقوانين (العظيمة) الـتي سـنّها بورقيبـة ومصـطفى كمـال وزين العابـدين بمنـع تعـدد الزوجـات ومنـع الطلاق والمساواة بين الرجل والمرأة . بينما تحدثت الإذاعة نفسها عن مـؤتمر عقد في الدوحة وكان إسلامياً بسخرية مريرة . فأين الموضوعية!!!

صور من التطور إلى الخلف

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لتتبعن سَنَن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا :يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :فمن؟(البخاري كتاب أحاديث الأنبياء). أتذكر هذا الحديث كلما أخذنا في تقليد الغرب في تقليعة من التقليعات أو في مجال من المجالات.ومن هذه المجالات عروض الأزياء ومسابقات ملكات الجمال أو فتيات الغلاف وغير ذلك.

لقد احتفلت محطة سي إن إن (CNN) بظهور صناعة عارضات الأزياء في بنجلاديش في برنامج دام قريباً من نصف ساعة وأعيد عدة مرات (كعادة هذه المحطات). وكأنّ المحطة تشيد بهذا التطور والتقدم في بنجلاديش وتشير إلى ما يدره هذا العمل على الفتيات الفقيرات من دخل. ولعلها أشارت إلى الاعتراض على هذا العمل ولكن دون اهتمام يذكر بالاعتراض.

لاشك أن بنجلاديش ليست الدولة الأولى في العالم الإسلامي التي تدخل هذا المجال ولكن لعلها من آخر الدول دخولاً إلى هذا المجال. وقد اهتمت المحطة بالعارضات وأهداف الشركة المتبنية لهذا الموضوع وكأنه لم يبق من مجالات التطور غير عرض الأزياء لتلحق هذه الدولة بركب الحضارة والتطور. وكأن صناعة عرض الأزياء

وتصـــميمها من الصـــناعات الـــتي لا تعد الدولة متطـــورة إن لم تـــدخلها. وأعتقد أن إخواننا في بنجلاديش حريصـــون على تطـــوير بلادهم في المجـال العلمي والـزراعي والتقـني والصـناعي ولكن هنـاك جهـات تعمل في العـالم الإسـلامي تريده أن يهتم بالقشور والمظاهر والتفاهات أكـثر مما تريده أن يهتم بجوهر المدنية والحضارة.

ولو تركنا بنجلاديش فمن صـور التطـور إلى الخلف ما تقـوم به بعض المحطـات الفضـائية من اهتمـــام ببث ورعاية ما يطلق عليه فتـــاة الغلاف وهناك أكثر من جهة تتبني قضية فتـاة الغلاف وقد كتبت صـحيفة (الاقتصـادية) في أحد أعـدادها أن مسألة مسـابقة ملكـات جمـال أو فاتنـات الغلاف إنما هي تغرير بالصـغيرات في هـذا المجـال حـتى إن أصغر متسـابقة لفتـاة الغلاف لا تتجـاوز الثالثة عشـــرة. ومما كتبته " الاقتصـــادية "تحت عنـــوان (حفل يستغل الصبايا لاختيـار فتـاة غلاف) :" وإن كـــان أهـــذب وصف يطلق على موضـــوع الحفل وهدفه هو "الجاهلية الحديثـة". تلك الجاهلية الـتي عـادت برقيقها الـذي تحـول إلى أبيض-تطـور في اللون فقـط- " وأضـافت كاتبة المقالة (الأسـتاذة خيرية العبد الله)": أن اختيـار وجه غلاف للمجلة أو بالأصح جسم غلاف فالمســـألة تجـــاوزت الوجه بكثير حتى وصلت لأمور نعرفها جميعاً ....واختيـار وجه غلاف لا يأخذ من المجلات الأخـرى أكـثر من

دقـائق وفي نفس مبـنى المجلة دون تكلفة تـذكر سواء بالمال أو بالجهد."

وعادت القناة الفضائية نفسها (المسـتقبل) بعد شهرين لا أكـثر من الحفل الأول لـترعى حفلاً ثانيــاً لمجلة فرنســية وكــان العــرض من خلال اللقطــات الـتي عرضت كنــوع من الدعاية أكـثر فضــائحية وأكــثر عريــاً من الاحتفــال الأول أو المسابقة الأولى. ومن الأمور الطريفة أن إحــدى مسـابقات اختيـار (ملكـات الجمـال) قد اختـارت الكاتبة الجزائرية أحلام مســـــــتغانمي في لجنة التحكيم فهل جلوســـها في لجنة التحكيم إلاّ تأييد لهـذا النـوع من المسـابقات الـذي يمتهن المـرأة ويجعلها كالســلعة تعــرض على الأنظـــار. ومن العجيب أن إحدى المتسابقات في مسابقة (ملكة جمال العالم). وهناك أيضـاً ملكة جمـال الكـون. قالت إنها تشـعر بشـيء من الخجل أن تخـرج في ملابس السباحة.

إن كاتبة اعترضت على مقالة تنـــادي بـــأن للرجل أن يجـدد حياته بـالزواج من فتـاة تصـغره بســنوات إذا بلغ الخمســين بأنه رجــوع إلى عصر الجواري. والحقيقة أن العصر التي كانت تبـاع فيه الجــواري كـان أرحم بـالمرأة وأكـثر احترامـاً لها فـالجواري مظلومـات مع ما يحـدث للمـرأة الـتي تــزعم أنها حــرة في العصر الحاضــر. لقد أحصى أحد المـــؤرخين أن أكــــثر من ثلاثين خليفة في الدولة العباسية كانت أمهاتهم جوار أو أمهـات ولد

فهل تبلغ الجواري في هـذا العصر شـيئاً من هـذه المكانة؟

المـــــــرأة المســــــلمة في الكتابات الغربية

لإذاعة لنـدن العربية (BBC) برنـامج طريف يعرض فيه لمحـات عن بعض الكتب الحديثة الـتي صــدرت في الغــرب أو الشــرق حــول الإســلام والمسلمين. وهو برنامج مستمر منذ عدة سـنوات بعنوان(جولة في عـالم الكتب). وهـذا يؤكد أهمية الاســـتمرارية في الهيكل الأساسي لبرنـــامج أي إذاعة.

ومن آخر الكتب التي عرضت لها إذاعة لندن القسم العربي كتاب (قضية الشـرف) مع أن العنــوان بالإنجليزية يعــني (ثمن الشــرف) *The Price of Honor* وهو لكاتبة بريطانية انتقلت للعيش في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، وتعمل في مجال الصـحافة اسـمها جـان جـود ون Jan Godwin التي فازت بعدة جوائز صحافية .

وذكــــــــرت الإذاعة أن الكاتبة أمضت خمس سـنوات متنقلة بين البلاد الإسـلامية الـتي تحــــدثت عنها وهي :الباكســـتان، وأفغانســـتان والكويت والمملكة العربية السعودية ومصــر. وقد لخصت الإذاعـة الكتـــــــاب بقولها "إنه ليس من الحكمة أن يسمح الغـرب أن ترتبط مصـالحه ببلاد غير مستقرة تتعرض فيها المرأة للاضطهاد وسـوء المعاملة." وزعمت الإذاعة أن الكتاب لاقى رواجاً كبـــيراً من النقـــاد والصـــحف والمجلات الغربية ،

وبالرغم مما فيه من آراء مثـيرة ،فـإن الناشر أراد هذه الإثارة فلعلها تسهم في تسويق الكتاب.

بعد هـذا التقـديم من الإذاعة طلبت من الكاتبة المصـــــــــرية والروائية باللغة الإنجليزية الدكتورة أهداف سويف (*)أن تتحدث عن الكتاب. فـــــذكرت أن الكتـــــاب اهتم بالعلاقـــــات المالية والتجارية بين الـــولايات المتحـدة الأمريكية وبعض الــدول الإســلامية، وكــذلك لبعض الــدول العربية استثمارات ضخمة في الغرب ، ولكن على الغرب في نظرهــا- الكاتبـة- أن يكـون حكيمــاً فلا يســمح بارتباط مصالح بهذه البلاد غير المستقرة وذكــرت من دلائل عـدم الاسـتقرار الصـراعات المسـتمرة داخل البلاد الإسلامية ، وانتشار الحركات الأصولية وكـذلك موضـوع المـرأة مما جعل الكــاتبة تصـور النساء المسلمات في حالة جـزع من أن عــالمهن في خطر، لأن التراث الديني التقليدي بات مهـدداً ، وكذلك مرور هـذه البلاد بمرحلة تشـكّل عسـيرة تتميز بتصارع المعتقدات والرؤى المختلفة.

وذكــرت الــدكتورة أهــداف ســويف أن المؤلفة أجــرت لقــاءات مع قيــادات نســائية في البلاد الـــتي عاشت فيهـــا، وكـــان بعضـــها يتسم بالجمود لعدم وجود نقاط التقاء وتفـاهم كما كـان لقاؤها مع الداعية زينب الغــــزالي في مصر . أما حوار المؤلفة مع المؤلفة نوال السـعداوي الداعية

---

* -تعمل مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن التي أسسها الشيخ أحمد زكي يماني في لندن .

إلى "تحرير المـرأة" وانفلاتها من القيم الإسـلامية فكان لقاءً حيوياً كما قالت أهداف سويف.

وختمت سويف عرضـها بـالقول إن أهم ما في الكتـاب تلك الصـفحات الـتي حـوت لقـاء المؤلفة مع المستشـــار الـــدكتور محمد ســـعيد العشــماوي الــذي دعا إلى ضــرورة الــدعوة إلى الحرية والتعليم ومرجعية السـلطة. دون أن يحـدد السـلطة هل هي السـلطة الـتي تحكم أو سـلطة الشرع والقـرآن والسـنة . ولا شك أن العشـماوي يــدعو إلى ســلطة العقل العلمانية المتحــررة من نفوذ الإسلام.

كنت أتمنى أن توجد لدينا الجهات الـتي تطلع على هـذا الكتـاب فـور صـدوره وتحيله إلى دارســين متخصصــين يملكــون معرفة النظــرة الإســلامية إلى هــذه القضــايا فلا يــتركون لإذاعة لندن أو سواها لتبث مثل هذه الأفكار.

إن الحــديث عن اضــطهاد المــرأة أمر ليس بالجديد ، فتلك شنشـــنة قديمة لا يـــراد بها الحديث عن التقصير الحاصل في ممارسات بعض المســـلمين بغية إصـــلاحها، وإعادتها إلى جـــادة الإســـــــلام، ولكن القصد من ذلك التحامل على الإسلام وأن الإسلام هو الذي يضطهد المرأة .

أما الدكتورة أهداف سويف التي تعيش في الغـــــرب وتكتب باللغة الإنجليزية وتلقى من الاحتفـاء والتكـريم لا لشـيء إلاَّ لانتقادها الإسـلام والطعن فيه كما يحتفي الغـــرب حاليـــاً بالمارقة

البنغـــــلاديشية تســــليمه نســــرين واحتفى قبلها بالمارق سلمان رشـدي وغـيره ممن رفض إنتاجه في البلاد الإســلامية ، هـــذه المـــرأة ليست هي الخيار الجيد للحديث عن مثل هذا الكتاب.

وعجيب رأي الدكتورة سويف بأن الحــوار مع زينب الغــزالي رتيب وغــير جـاد بينما الحــديث مع المــرأة الــتي تــدعو إلى الانحــراف والزيغ والضــلال حــوار حيـوي أي معـايير هـذه ؟ وأهم ما في الكتـاب كما قـالت ســويف هو كلام العشماوي الذي رفضه علماء الأمة وعقلائها وردوا عليه. ولنوجه السؤال إلى هـذه الكاتبة الـتي تتهم الإسلام باضـطهاد المـرأة فما ذا تقـول عن العنف في معاملة الرجـــال لأزواجهم في المجتمعـــات الغربية حيث أوردت مجلة يو إس نيــوز أند وورلد ربوت(US News &World Report)أن نسبة النســاء اللاتي يتعرضن للقتل بأيـدي أزواجهن تبلغ 60% مقارنة بنســبة الرجــال الــذين يتعرضــون للقتل بأيدي نسائهم(ســوانح صـريحة للـدكتور عبد القادر طـاش) .ومـاذا تقـول أيضـاً عن الجمعيـات الــتي تــؤوي النســاء اللاتي يتعرضن للضــرب من الأزواج؟ كـــأن هـــذه الكاتبة ينطبق عليها المثل المعروف "رمتني بدائها وانسلت".

متى نكون نحن المبادرين إلى الحــديث عن أوضاعنا وتمثيل أنفســنا أمـام أنفســنا . لاشك أن لدينا أخطاء وسلبيات نحن أولى معالجتها بــدل أن نفتح البـــاب لمثل هـــذه الكاتبة لتطعن في

خمس مجتمعات إسلامية في خمس دول من أهم الـدول الإسـلامية ؟ نحن أولى بالكتـاب . فهل من يكتب عن الإسلام بإنصاف وموضوعية.([*])

[*] - بعد نشر هذا المقالة بعـدة أيـام كتب الـدكتور عبـد الواحـد الحميـد - عضـو مجلس الشـورى حاليـاً- والأسـتاذ بجامعـة الملـك فهـد للبـترول والمعادن والكاتب اليومي بجريـدة عكـاظ على المقـال فكتب حلقـتين معلقاً على ما جـاء في مقـالتي . وأشـار إلى أنـه كـان قـد حصـل على الكتاب وقرأه ووافقني على أنـه لا بـد من الاطلاع على إنتـاج الغربـيين حول الإسلام والمسلمين والرد على افـتراءاتهم ، كمـا أشـار إلى بعض الإيجابيــات في كتــاب الكاتبــة الإنجليزيــة . وكــان ممــا قالــه في مقالتيه(عكاظ، 9و12 ربيـع الأول 1415) : الكتـاب مليء بالمبـالغات والخلط بين الإسلام وعادات الشعوب الإسلامية ، ولكنه مليء أيضاً بما يمكن أن نتعلم منه" وقال أيضاً:" لكن ما أريد التأكيد عليـه هنـا هـو مـا أشـار إليـه الـدكتور المطبقـاني من ضـرورة متابعـة هـذه الدراسـات والكتابات التي تصدر عنّا بأقلام أجنبية ، وان نكـون نحن السـباقين إلى دراسة أوضاعنا - ومنها أوضاع المـرأة- وان نبـادر إلى علاج السـلبيات الموجودة والدفاع عن كل ما شرعه الدين وأقره."

يحتل موضوع(قضية المرأة المسلمة) وحجابها وثقافتها والمؤامرات عليها حيزاً ضخماً من اهتمامات المستشرقين: لمــاذا يركز المستشرقون على المرأة المسلمة؟ ماذا تقترح من أفكار رئيسة لتفعيل جهود تحصينها ثقافيا؟

الجواب السـابع : يركز المستشـرقون على موضوع المـرأة المسـلمة لأنهم إن اسـتطاعوا أن يؤثروا في المرأة ويخرجوها عن دينها ويؤثروا في ســـلوكها اســـتطاعوا أن يـــؤثروا في المجتمع المسلم، فالأم المسلمة هي أنجبت وتنجب القادة والسياسـيين والعلمـاء البـارزين وهي الـتي تنجب المـواطن الصـالح الـذي يعمل لرفعة شـأن أمته ويكون رجلاً حقاً وهي التي تنجب الفتاة المسلمة الملتزمة العفيفة وتنجب الفتـــاة المتفوقة ، ولكن المستشـرقين لا يهمهم إلاّ أن تكـون الأم العربية المســـلمة هي الـــتي لا يهمها إلاّ آخر صـــرعات الموضة وحفظ أسماء الممثلين والفنـانين ونجـوم السينما والرياضة والغناء.

المـــرأة المســـلمة مســـتهدفة في كتابـــات المستشـــرقين لإقناعها بأية طريقة أن الإســـلام يضطهدها ولا يعطيها من الحقـوق ما يزعمـون أن الحضـــارة الغربية تعطيه للمـــرأة.ناســـين أن ما تعطيه الحضـــــارة الغربية المادية بيد تأخذ مقابلة الكثير والكثير حتى أنوثة المـرأة وكرامتها امتهنت في هـــذه الحضـــارة. والاستشـــراق ومن ورائه

الحضارة المادية الغربية ترى أن المرأة المسلمة مضطهدة من قِبَل الأب والأخ ثم الزوج وبعد ذلك الابن. والمرأة مضطهدة من المجتمع.

لقد ألفوا ألوف الكتب حول المرأة المسلمة بل إن بعض الكاتبات الغربيات تخصصن في المرأة المسلمة في بلد معين، وهاهي جين ساسون Joan Sasson مثلاً تدرس أوضاع المرأة في أفغانستان وباكستان والكويت ومصر والسعودية. وفي دراستها لقيت العديد من النساء في هذه البلاد ولكنها أبرزت دور النساء المقلدات للغرب وغمطت النساء الداعيات حقهن من الاهتمام والذكر.

ويكون اهتمام الاستشراق بالمرأة المسلمة من خلال المؤتمرات العالمية فهاهي مؤتمرات رابطة دراسات الشرق الأوسط تعقد مؤتمراً سنوياً حول قضايا الشرق الأوسط وتجتمع تحت مظلة هذه الرابطة رابطة أصغر هي رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط وتقدم المحاور الخاصة بموضوعات المرأة. ولهذه الرابطة نشرتها الدورية كما أن لها موقع على شبكة الإنترنت.

أما ما يمكن اقتراحه لتحصين المرأة المسلمة فيتخلص بتعريفها بدينها القويم عقيدة وشريعة وأحكاماً وتاريخاً وسنّة. لا بد من معرفة الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به ذلك الإيمان الذي يصل إلى أعماق النفس البشرية فيجعلها

تنقاد راضية مسرورة لأوامر الله سبحانه وتعالى مهما كانت المغريات الدنيوية.

ويكون التحصين الثقافي بالتركيز على الاعتزاز بالإسلام وأن ما جاء به هذا الدين هو الرسالة الخاتمة للبشرية وأن واقع العالم اليوم يؤكد أن البعد عن منهج الله عز وجل وشريعته أدى إلى تردي البشرية حتى أصبحت في الغالب الأعم (كالأنعام بل هم أضل) أليست هذه هي دور السينما الأمريكية وما تفرزه من صور سلبية للحياة الغربية وإنها وإن لم تكن تصور الحياة الغربية تماماً فإن في الغرب من المآسي والمخازي ما يحتاج إلى مجلدات للحديث عنه.

ليتنا نستطيع أن نجعل فتياتنا يعشن أجواء بيت النبي صلى الله عليه وسلم ليعرفن كم رفع الإسلام من شأن المرأة وكم أعطاها من الحقوق، وكم هي سعيدة تلك المرأة التي تعيش في ظل الإسلام. وقد نبهتني ابنتي إلى بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع أمهات المؤمنين وما في تلك المواقف من إنسانية عظيمة لا يمكن أن تصدر من هذا الدين العظيم الذي مصدره الوحي الرباني.

ويمكننا أن نعلم بناتنا أي عظمة في هذا الدين حينما ننقل لهن بعض الصور عن حياة المسلمات الأوروبيات والأمريكيات وكم قرأت من مقالات رائعة في شبكة الإنترنت فهذه الأخت شريفة كارلو تكتب مقالة بعنوان (عندما غطيت

رأسي تفتح عقلي) ترد على النساء الغربيـات وما هم فيه من عري وأن المـرأة هنـاك مطلـوب منها أن تعـــرض مفاتنها وأن الإســـلام هو التكـــريم الحقيقي للمــرأة. كما قــرأت مقالة أخت أمريكية أســلمت تــرد على من ينتقد نظــام الأســرة في الإسلام وبخاصة في مجال الطلاق فتقــول (والله إن الطلاق في الإســلام لأرحم ألف ألف مــرة من نظــام الطلاق الغــربي، إنهم يزعمــون أن الرجل يكفيه أن يطلق امرأته القـــول أنت طـــالق أنت طالق ، ونسوا أن الطلاق مرتان ولكل مـرة عـدة مــدتها ثلاثة شــهور أو ثلاث أطهــار أو حيضــات، والمــرأة لا تطلق قبل أن يقــوم الرجل بوعظها – إن خـاف نشـوزها- وهجرها وضـربها- ضـرباً غـير مـبرح- وإن كـان الأمر وصل إلى الاسـتعانة بحكم من أهلها وحكمـــــاً من أهلـــــه، بينما الطلاق في الغـرب يوكل فيه محاميـان يسـعى كل منهما إلى الإســراع في تحطيم الأســرة ليفــوز بالغنــائم هو وموكله أو موكلتــه. والطلاق في الإســلام يــراعي حـال المــرأة الحامل أو المرضع ويجعل الحضـانة للأم. وتستنتج أن الإسلام أرحم من نظـام الأسـرة الغربي.

المرأة المسلمة في نظر الاستشراق

هل تنم كتابات المستشرقين قديماً وحديثاً عن فهم صحيح لحقيقة وضع المرأة في الإسلام؟

لا يختلف فهم المستشـــرقين لوضع المـــرأة عن فهمهم لكافة القضـــــايا الخاصة بالـــــدين الإسلامي، وإن كان موضـوع المـرأة نـال اهتمامـاً خاصـاً وأفـردت له كتابـات كثـيرة وأصـبح لـديهم جمعيـات خاصة بالدارسـين لأوضـاع المـرأة في العــالم الإســلامي. ولكن كيف يمكن أن نعمم الحكم على فهم المستشـرقين لوضع المـرأة في الإســــلام. ولكن يمكن القـــــول إن دراسة المستشرقين للإسـلام وقضـاياه تقع في عـدد من الأخطاء المنهجية منها ما يأتي

- محاولة رد معطيات الـدين الإسـلامي إلى اليهودية والنصرانية
- التشـــكيك في صـــحة الحـــديث النبـــوي الشريف
- النفي الكيفي والتشكيك في الإسلام
- البحث عن الروايات الشاذة والضعيفة
- منهج الإســقاط وهو إســقاط الوقـــائع المعاصرة على الماضي وأحداثه.

فالمستشـرقون في الغـالب حينما يدرسـون الإســلام يقعــون في هــذه الأخطــاء المنهجيــة، فالمثال عندهم هو المرأة الغربية ولا بد أن يكــون في العالم الإسلامي حركات تحرر كما في العــالم الغربي، لكن تحرر من ماذا؟ إنهم يريـدون المـرأة

المسـلمة أن تكـون صـورة طبق الأصل للمـرأة الغربية؟ لقد ناقش مؤتمر المـرأة العـالمي الـذي عقد في قسـنطينة في الجزائر عـام 1934م مسألة خروج المـرأة المسـلمة من بيتها ومسـألة الحجاب.

ولو كـان الفهم الغـربي أو الاستشـراقي صـحيحاً لما ثـارت ثـائرة فرنسا لحجـاب المـرأة المسـلمة فيهـا. لقد نظـروا إلى الحجـاب نظـرة بعيدة عن حقيقته بأنه دعـوة إلى العفة والفضـيلة وتقدير المرأة واحترامها وأن المرأة ليست مجـرد جسد كما تنظر إليها الحضارة الغربية.

وقد انتشـرت النظـرة الاستشـراقية للمـرأة المسـلمة من خلال الجامعـات الغربية والطلاب العرب والمسلمين فيها ومن خلال الإنتـاج العلمي لهـذه الجامعـات، وقد انضـمت لهـذه الجامعـات مؤسسـات عالمية مثل اليونسـكو الـتي شـجعت مجموعة من البـاحثين والباحثـات العـرب والمسلمين للكتابة حول موضوع المرأة من وجهة نظر استشراقية تدعو إلى خروج المـرأة من بيتها بلا قيود وبالتمرد على الحجـاب الإسـلامي وكـذلك بـالتمرد على الشـريعة الإسـلامية الـتي صـانت للمرأة حقوقها.

الإذاعات الموجهة والإثارة

في صبيحة يـوم الجمعة الموافق 19جمـادى الآخـــرة 1419 كـــان مؤشر المـــذياع على إذاعة مونت كارلو، وكان الحديث حـول مطالبة امـرأتين في مصر بمنصب قاضـــية ومفتيـــة. لم يكن الأمر مجرد تعليق إخباري ولكنه أشـبه بفيلم سـينمائي . المـذيع يتحـدث بصـوت مليء بالحماسة وبنـبرات عالية وبشيء كثـير من الإثـارة عن هـذه القضـية، كان المذيع يعد نفسه طرفاً في القضية الـتي لابد أن تحسم في نظـره لصـالح المـرأتين أو لصـالح (تحرير المرأة).

كـان التعليق حـول مطالبة الـدكتورة سـعاد صـالح الأسـتاذة المتخصصة في العلـوم الشـرعية وصـــاحبة المؤلفـــات في الدراســـات الإســـلامية بمنصب نائب المفتي لتكون متخصصة في الفتوى في شـؤون المـرأة بخاصة والإفتـاء عمومـاً حيث إنها وصـلت إلى درجة عالية من العلم الشـــرعي. أما المرأة الأخـرى الـتي تحـدث عنها المـذيع فهي الأسـتاذة فاطمة لاشـين وكـانت تطـالب بمنصب القضـاء وتعتقد أنه ليس في الإسـلام أي نص يمنع على المرأة أن تكون قاضية فمـادامت قد ارتـدت زي المحاماة أو عملت في العدالة الواقفة فلمـاذا لا يمكن أن تصبح قاضية؟

لم يكن هـدف الإذاعة أو المـذيع – الـذي لم يخف توجهاته – نقل الخبر للمستمعين ولكنه كـان يحمل رســالة واضـــحة . فقد خلط الحـــديث عن

مطالبة المـــرأتين بهـــذين المنصـــبين الهـــامين بالحـديث عن الحركـات (الأصـولية) وزعمه أنها تدعو إلى التخلف واضـطهاد المـرأة وأن المطالبة هذه المرة لم تأت من صفوف النساء العلمانيات، ولكنها مطالبة صـادرة من امـرأتين لهما شـأنهما في التيار الإسلامي.

ويزعم الخبر أن المفتي لم يستجب لمطالبة الدكتورة سعاد صالح ولا تتوقع الدكتورة أنه سـيرد عليها ولـــذلك فقد حملت قضـــيتها إلى وســـائل الإعلام. وكذلك الأستاذة فاطمة لاشـين الـتي تريد أن تصبح قاضية. أما أن الدكتورة سعاد صالح تريد أن تصـبح نائبة للمفـتي فـأمر داخلي يخص إخواننا في مصر ولكن التـــــاريخ الإســـــلامي يخبرنا أن الإسلام لم يمنع المرأة أن تصل إلى أعلى مراتب العلم والفتيا فهذه السـيدة عائشة رضي الله عنها بخاصة وغيرها من أمهـــات المؤمـــنين رضي الله عنهم أجمعين كنّ ينقلن ما عرفنه من الـــدين إلى الأمة فكم من حـديث نجـده مرويـاً عن عائشة أو أم ســـــلمة أو حفصة أو غـــــيرهن من نســـــاء المسلمين.

وأما أن الإسـلام دعا المــرأة والرجل لطلب العلم فــأمر فهمه المســلمون منذ بداية الإســلام فهـذا ابن حـزم يقـول:" وفـرض على كل امـرأة التفقه في كل ما يخصها كما فرض على الرجال، ففـــرض على ذات المـــال منهن معرفة أحكـــام الزكـــاة ، وفـــرض عليهن كلهن معرفة أحكـــام

الطهارة والصلاة والصوم وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق. ولو تفقهت امرأة في علوم الدين للزمنا قبول نذارتها، وقد كان ذلك فهؤلاء أزواج النبي وصواحبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك، فمنهن سوى أزواجه عليه السلام :أم سليم ، وأم حرام ، وأم عطية ، وأم كرز وأم شريك وأم الدرداء وأسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة بنت قيس....." وقد أورد صاحب وفيات الأعيان ترجمات لنساء منهن فخر النساء شهدة بنت أبي نصر الكاتبة : كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير .." . (**المفصّل في أحكام المرأة** ، عبد الكريم زيدان).

ولو كانت الإذاعة تريد أن تنقل الصورة الصحيحة للموضوع فإنني كنت أتوقع أن أسمع رأي الدكتورة سعاد صالح والأستاذة فاطمة لاشين. فلا بد أن لهما مبرراتهما في هذه المطالبات ولا شيء يمكن أن ينقل الحقيقة غير مصدر الخبرين، وليس من الصعب على الإذاعة أن تصل إلى المرأتين وتطلب رأييهما أو تنقل آرائهما وفقاً للمصادر التي تناولت هذا الموضوع.

لا بد لهذه الإذاعات أن تحترم مسلمات هذه الأمة وثوابتها وتبتعد عن التحيز لأي اتجاه فكري. وإن كانت هذه الإذاعات لا تستطيع التخلص من

توجهـــات قـــامت أساســـاً لنشـــرها فلا أقل من التخفيف من العـــداء للإســـلام ومحاولة العـــرض المتوازن لقضايانا.

شيراك والحجاب:

شاهدت في شهر ذي الحجة من العام الماضي(1416هـ) في القناة الثانية الفرنسية فيلماً عن قضية الحجاب في فرنسا، وكان الفيلم - رغم ضعف معرفتي بالفرنسية- يحكي قصة الفتاة المغربية التي أصرت على ارتداء الحجاب في المدرسة وما مر بها من أحداث من طردها من المدرسة ورفعها دعوى ضد المدرسة بالتفرقة بسبب الدين والشعائر، وأظهر الفيلم سخرية زملائها ومعلميها منها وكيف كانت تقابل المدرسين والمدرسات فيلقون عليها المواعظ الطويلة أو التأنيب والاستهزاء وهي لا تعرف كيف ترد عليهم. وفي نهاية الفيلم يزعمون أنها عادت إلى رشدها(!) فتركت الحجاب وعادت إلى السفور.

وبالرغم من انتصار الحجاب في أكثر من معركة على الصعيد الرسمي والقانوني في فرنسا لكن ما زال في نفس بعض المسؤولين الفرنسيين منه شيء حتى طلعت علينا الأخبار بأن "مناهضي الحجاب ثارت ثائرتهم وانتقدوا بشدة مجلس الدولة (وهو أعلى سلطة قضائية في فرنسا) وصاروا يطالبون بسن قانون من أجل منع الحجاب في المدارس بصورة نهائية." وأضاف الخبر بأن الأنظار تتجه الآن لقصر الاليزيه لإصدار قرار رئاسي لمنع الحجاب، ويبدو أن الرئيس الفرنسي بدأ في الاستجابة لهذه الضغوط

حـتى إنه اتصل هاتفيـاً بـوزير التعليم وطلب منه التفكير في إعداد قـانون لمنع الحجـاب نهائيـاً من المـدارس. وأضـافت " المجلة "أن الـرئيس الفرنسي " اغتنم فرصة اسـتقبال أعضـاء اللجنة الاستشارية لحقوق الإنسان فألقى خطاباً أمـامهم لإثـارة قضـية الحجـاب علنـاً لأول مـرة مسـتعملاً تعابير شديدة اللهجة فوصف لبس الحجـاب بأنـه" تميـيز عنصـري " بين الرجـال والنسـاء ، وهـاجم الـذين يسـعون وراء إلـزام المسـلمات بلبس الحجـاب إلى اسـتبعاده وإلغـاء حرية التعبـير في الاختيـار باسم الـدين وحرية العبـادة، وطـالب الفرنسـيين بـرفض المظـاهر والقيم الـتي تخـالف تقاليد وقيم الجمهورية الفرنسية.".

أعلم يقينـاً أن الفرنسـيين المسـلمين وغـير المسلمين الذين يفهمون الإسـلام حقـاً لن يقبلـوا بهذه الآراء التي لا تعبر عن حقيقة الدين الإسلامي وموقفه من المـرأة. فقد أدرك عقلاء كثـيرون من أوروبا والعـالم أن الحجـاب تكـريم للمـرأة وليس تمييزاً ضدها ، وان الحجاب أمر ربّاني وليس لأحد أن يجبر المرأة على ارتداء الحجاب سـوى إيمانها بالله سبحانه وتعالى. وإذا كـان الـرئيس الفرنسي يغضب من الحجاب ويقول فيه ما قال فإننا نقـول أيضـاً ليته يغضب من تلك الحديقة الـتي تقع في قلب بـاريس وما يتم فيها من جـرائم تهـدر حقيقة كرامة الإنسـان. فما الـذي يجـبر المـرأة أن تـبيع عرضـها في تلك الحديقة أو في غيرهـا. وفي تلك

الحديقة أيضاً من مظـاهر احتقـار القيم الإنسـانية الكريمة من ألـوان الشـذوذ. وأضـيف أيهما أكـرم للمرأة حجابها أو تبادل الزوجات والعشيقات الذي له شارع خاص في باريس؟

ليت الرئيس الفرنسي ينـاقش هـذه القضـية مع بعض العلمـــاء المســـلمين كما فعل الـــرئيس السـابق في المنـاظرة التلفزيونية حـول انضـمام فرنسا لمعاهدة الماستريخت فإنني أتوقع أن يعود عن رأيه ويـــترك للنســـاء المســـلمات الحق في ارتـــداء الحجـــاب الـــذي أمر به الله عز وجل رب العالمين.

ولولة نسائية في صحافة الغرب!!(*)

تناولت في مواضع أخرى ما كتبته مجلة ال"ريدرز دايجست" Readers Digest– المختار الواسعة الانتشار وتناولها لقضية المرأة في الإسلام وزعمها أنه باسم الإسلام تهان المرأة ويساء إليها، وأوضحت أن ذلك سببه الجهل أو تعمد تشويه صورة الإسلام في الغرب لأن المجلة رأت أن تركب الموجة المحاربة للإسلام كغيرها من صحف الغرب.

وهنا أتناول موضوع المرأة من جانب آخر لا يتحمل مسؤوليته الإعلام الغربي وحده بل يشارك في ذلك بعض نساء المسلمين ممن تعلمن تعليماً غربياً أفسد عليهن عقولهن فلم يعدن يدركن الحقيقة.

نشرت جريدة لوس أنجلوس تايمز Los Angeles Times في أول أبريل 1994 رسالة من مواطنة عربية مسلمة رمزت لاسمها ب "فاطمة ب". وجاء في هذه الرسالة أن من أسمتهم بالإرهابيين المتطرفين يهددون بالقتل أي امرأة لا ترتدي الحجاب ، وتذكر بالفعل حالات قتلت فيها نساء لم يخضعن للتهديد. ولم تكتف صاحبة الرسالة بموضوع الحجاب بل أضافت :" إذا كان هذا هو مصير من لا ترتدي الحجاب فما

* نشرت في صحيفة **المدينة المنورة** ، عدد 11359 ، 26 ذو القعدة 1414، الموافق 7 مايو 1994. (الصفحة الإسلامية)

مصـير من تكـون في زيـارة لصـديق لها أو كـان صديقها في زيارتها.؟". لاشك أن مصـيرها سـيكون القتل أيضاً.

وتضيف صاحبة الرسالة أنه لا يكـاد يمر يـوم في بلـدها دون أن يقتل صـحافي أو زعيم عمّـالي أو محام أو حتى أناس عاديون. وليس "للإرهابيين " من عـذر –في زعمهـا- سـوى أن هـؤلاء النـاس مستغربون فاسدون لا يمكن إصلاحهم.

وما ذا تريد هذه الفتاة من نشر رسـالتها في إحـدى كبريـات الصـحف الأمريكيـة، إنها تطـالب الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا أن تتخذ موقفاً حازماً من هـذه الحركـات فهي- صاحبة الرسالة – تـرى أن أمريكا قد سـاعد الحركة الإسـلامية (المتطـرفين) في بداية الأمر وهـاهي تجـني ثمـرة هـذه المسـاعدة. أما الدولة الأخـــرى (فرنســا) فإنها وقفت تنتظر نتــائج الانتخابــات لــترى من ينتصر ومع ذلك لم تفعل شيئاً.

ولتزيد اســتعداء الغـــرب على الحركـــات الإسـلامية أو من أسـمتهم المتطـرفين الإرهـابيين زعمت أن هؤلاء ينظرون إلى المـرأة الغربية على أنها "قــذرة وداعــرة". وأنها ومن على شـاكلتها لا ينظرن هذه النظرة إلى المــرأة الغربية ، بل إنهن يحـترمن المـرأة الغربية ويـردن أن يصـبحن مثل نساء الغرب أو على الأقل يعشن كما يشـان فمن

رضــيت الحجــاب ارتدته ولم لم يعجبها الحجــاب تركته.
وا أســـفاه على هـــؤلاء النســـوة ومن على شــاكلتهن ..لم يكتفين بــرفض الحجــاب بل رحن يشــكين ويولــولن في صــحافة الغــرب ، هــذه الصحافة الـتي طالما فتحت أبوابها لكل الـدعوات الهدامة منذ دعـــــــــوة القومية ورفض الجامعة الإسلامية. إن تاريخ الإعلام الغربي وتشـجيعه لكل المطبلين والمرجفين في عالمنا العربي الإسلامي حافل وطويـل. فلمـاذا يهتم الغـرب بهـؤلاء ؟ هل يفعل ذلك دفاعـــاً عن حق المــــرأة في بلادنا ؟ ومتى فقدت المرأة في بلادنا حقوقها حتى تطلبها في صحافة الغرب؟
ما ذا فعلت صــــحافة الغــــرب حينما مُنِعت النســاء المســلمات أو التلميـذات الصـغيرات في فرنسا من ارتداء الحجاب؟ هل أقـاموا الـدنيا ولم يقعــدوها أو هل ســكتوا ســكوت الأمــوات؟ ما ذا فعلت صــــحافة الغــــرب من انتهــــاك الأعــــراض المســلمة في البوســنة وفي كشــمير وفي بورما وفي الهند وغيرها؟ ألا يا صحافة الغــرب كفّي عن التبجح بالحرية والـــدفاع عن الحريـــات. ويا أيتها المرأة المسلمة الشـاكية على صـفحات الصـحف الغربية أفيقي فإنها مـــــؤامرة خبيثة لإخراجك من حجابك وحشـــمتك ووقـــارك.. وإيـــاك أن تعطي المــــرأة الغربية من الاحـــــترام و التبجيل ما هي أعـــرف بحقيقتـــه. إن واقعها يـــدل على أنها في

مأســاة مريعة ، إنها تتعــرض للاغتصــاب والإهانة والإذلال في بلادها ، لقد أصــبحت ســلعة تــروج بجسدها ومفاتنها لكل أنواع البضائع.

وأخـيراً فهل حقـاً توجد جماعة إسـلامية في أي بلد عربي مسلم تقتل من لا ترتـدي الحجـاب؟ أما الـتي تريد أن تـدنس عرضـها بمخادنة الرجـال فحكمها قد نزل في القرآن الكريم فإما أن تكــون محصـنة أو غـير ذلك وعليها أن تواجه العقوبة في البلاد التي تطبق شرع الله.

اللهم ارحمنا برحمتك ونجنّا من هــــــــؤلاء الشاكين إلى الغرب.

إذاعة لندن واضطهاد المرأة[*]

لإذاعة لنـدن القسم العـربي (BBC) برنـامج طريف يعـــــرض فيه لمحـــــات عن بعض الكتب الحديثة التي صدرت في الغـرب أو الشـرق حـول الإسلام والمسلمين. وهو برنامج مستمر منذ عـدة سنوات بعنـوان "جولة في عـالم الكتب". وهو مما يؤكد على أهمية الاســـــــــــتمرارية في الهيكل الأساسي للبرنـــــامج لأي إذاعة وهو أمر يجب أن يهتم به الإعلاميون، ويكون مدخلاً لجذب المستمع المسلم للإذاعات العربية الإسلامية بدل أن تتلقفه الإذاعات الموجهة فيصـبح خاضـعاً لتوجهـات هـذه الإذاعات ولعلنا نسلحه ضد هذا الخضوع.

ومن آخر الكتب الـتي عرضت لها إذاعة هيئة الإذاعة البريطانية القسم العـربي ، كتـاب "قضـية شـرف.". مع أن العنـوان باللغة الإنجليزية معنـاه " ثمن الشــرف". Price of Honour وهو لكاتبة بريطانية انتقلت للعيش في نيويـــورك بالولايـــات المتحدة، وتعمل في مجال الصـحافة اسـمها جـان جـودين Jan Godwin الـتي فـازت بعـدة جـوائز صحافية.

ذكـــــــــرت الإذاعة أن الكاتبة أمضت خمس سـنوات متنقلة بين البلاد الإسـلامية الـتي تحـدثت عنها وهي : الباكسـتان، وأفغانسـتان، والكـويت ، والمملكة العربية السـعودية ومصـر. وقد لخصت

* -نشـــرت هـــذه المقالة في جريـــدة **المدينة المنـــورة** (الصـفحة الإسـلامية) عــدد (11457)ــ 6ربيع الأول 1415، الموافق 13أغسطس 1994م.

الإذاعة الكتـــــاب بقولها إنه ليس من الحكمة أن يسـمح الغـرب أن ترتبط بلاده ببلاد غـير مسـتقرة تتعـرض فيها المـرأة للاضـطهاد وسـوء المعاملـة. وأوردت الإذاعة أن الكتاب لاقى اهتماماً كبيراً من النقاد والصحف والمجلات الغربية بـالرغم مما فيه من آراء مثيرة ، فإن الناشر أراد هذه الإثارة لعلها تسهم في تسويق الكتاب.

بعد هذا التقديم من الإذاعة طلب من الكاتبة المصـــرية والروائية باللغة الإنجليزية الـــدكتورة أهداف سويف أن تتحدث عن الكتـاب فـذكرت أن الكتــــاب اهتم بالعلاقــــات المالية والتجارية بين الولايات المتحدة وبعض البلاد الإسلامية ، وذكر أن بعض البلاد العربية لها اســـتثمارات ضـــخمة في الغـــرب ، ولكن على الغـــرب في نظر الكاتبة أن يكـون حكيمـاً فلا يسـمح بارتبـاط مصـالحه بهـذه البلاد غـــير المســـتقرة، وذكـــرت من دلائل عـــدم الاســـتقرار الصـــراعات المســـتمرة داخل البلاد الإســلامية وانتشــار الحركـات الأصـولية وكـذلك موضـوع المـرأة. مما جعل الكاتبة تصـور النسـاء المســلمات في حالة جـــزع من أن عـــالمهن في خطر لأن الـتراث الـديني التقليـدي بـات مهـدداً وكـذلك مـرور هـذه البلاد بمرحلة تشـكل عسـيرة تتميز بتصارع المعتقدات والرؤى المختلفة.

وذكرت الدكتورة أهـداف أن المؤلفة أجـرت لقاءات مع قيادات نسـائية في البلاد الـتي عاشت فيها وكان بعضها يتسم بالجمود لعدم وجود نقــاط

التقاء وتفاهم مع المؤلفة كما كان لقاؤها بالداعية زينب الغــزالي في مصــر. أما حــوار المؤلفة مع نــوال الســعداوي الداعية إلى "تحــرر المــرأة" وانفلاتها من القيم الإسـلامية فكـان حـواراً حيويـاً كما قالت أهداف سويف. وختمت سويف عرضــها بالقول إن أهم ما في الكتاب تلك الصفحات الـتي حوت لقـاء المؤلفة مع المستشـار الـدكتور محمد سـعيد العشـماوي الـذي دعا إلى ضـرورة الـدعوة إلى الحرية والتعليم ومرجعية الســــلطة دون أن يحــدد الســلطة هل هي الســلطة الــتي تحكم أو ســلطة الشــرع والقــرآن والســنة،ولا شك أن العشــماوي يــدعو إلى ســلطة العقل العلمانية المتحررة من نفوذ الإسلام.

كنت أتمنى أن توجد لدينا الجهات التي تطلع على الكتــاب فــور صــدوره وتحيله إلى دارســين متخصصين يملكون معرفة النظـرة الإسـلامية إلى هـذه القضـايا فلا يـتركون الفرصة لإذاعة لنـدن أو سواها لتثبت مثل هذه الأفكار .

إن الحــديث عن اضــطهاد المــرأة أمر ليس بالجديد فتلك شنشــنة قديمة لا يــراد بها الحــديث عن التقصــــير الحاصل في بعض ممارســــات المســـلمين بغية إصــــلاحها وإعادتها إلى جــــادة الإســـــــلام ولكن القصد من ذلك التحامل على الإسلام وأن الإسلام هو الذي يضطهد المرأة .

أما الدكتورة أهداف سـويف الـتي تعيش في الغرب وتكتب باللغة الإنجليزية وتلقى من الاحتفاء

والتكـريم لا لشـيء إلاّ لانتقادها الإسـلام والطعن فيه كما يحتفي الغرب حالياً بالمارقة البنجلاديشية تسـليمة نسـرين واحتفى قبلها بالمـارق سـلمان رشـدي ومـازال يحتفي بعـدد كبـير ممن رُفِضَ إنتاجهم في البلاد الإسلامية.

الحـوار مع زينب الغـزالي ممل ورتيب وغـير جـاد بينما الحـديث مع المـرأة الـتي تـدعو إلى الانحراف والزيغ والضلال حوار حيوي ، أي معـايير هذه " وأهم ما في الكتاب كلام العشماوي." الذي رفضه علمـــاء الأمة العقلاء وردوا عليه . ولنوجه السـؤال إلى هـذه الكاتبة الـتي تتهم الإسـلام باضـطهاد المـرأة فمـاذا تقـول عن العنف في معاملة الرجـال لأزواجهم في المجتمعـات الغربية حتى أوردت مجلة "يو إس نيوز أند وورلد ريبورت "US News & World Report أن نسـبة النساء اللواتي يتعرضن للقتل بأيدي أزواجهن تبلغ 60% مقارنة بنسـبة الرجـال الـذين يتعرضـون للقتل بأيدي نسـائهم (سـوانح صـريحة عبد القـادر طاش) وماذا تقول أيضاً عن الجمعيات التي تؤوي النساء اللاتي يتعرضن للضرب من الأزواج . كـأنّي بهـذه الكاتبة ينطبق عليها المثل (رمتـني بـدائها وانسلت)

متى نكـون نحن المبـادرين إلى الحـديث عن أوضـاعنا وتمثيل أنفسـنا أمـام أنفسـنا؟ لا شك أن لدينا أخطاء وسلبيات نحن أولى بمعالجتها بدل أن نفتح البـاب لمثل هـذه الكاتبة لتطعن في خمس

مجتمعات إسلامية في خمس دول من أهم الـدول الإســــــلامية؟ نحن أولى بالكتابة ..فهل من يكتب عن الإسلام بإنصاف وموضوعية؟

إيواء المارقين والمنحرفين

اهتمت وســـــائل الإعلام الغربية المختلفة بقضية الكاتبة البنجلاديشية تسـليمة نسـرين الـتي نشــرت بعض التصــريحات الــتي تــزعم فيها أن القــرآن الكــريم بحاجة إلى إعــادة النظر فيــه، وكــذلك الشــريعة الإســلامية وبخاصة فيما يتعلق بموضــوع المــرأة والجنس. ومن وســائل الإعلام هــذه صــحيفة التــايمز اللندنية وفي هــذه المقالة أرصد عـــدد المـــرات الـــتي اطلعت عليها خلال أســـــبوع واحد 14إلى 20 يوليه 1994م، وهو اهتمــام أكــبر من حجم هــذه المارقــة. ولكن مثل هذه الصـحف تقف موقف الشـماتة عنـدما يخـرج من بين المســـلمين من يطعن في عقيـــــدتهم وشريعتهم.

ففي 14يوليو 1994م نشـرت التـايمز مقالة بعنوان (رشدي يقـوم بحملة لتأييد نسـرين) أشـار فيها الكـاتب إلى الرسـالة الـتي بعثها رشـدي إلى أكــثر من عشــرين صــحيفة أوروبية يطــالب فيها بــدعم نســرين وينتقد بشــدة أولئك المتطــرفين المتشـددين الـذين يهـددون حيـاة الكاتبة ويحرمها من حقها في التعبير. وكـان مما زعمه رشـدي أن الأصــوليين يطــالبونهم (هو ومن على شــاكلته) الإيمان بحقيقة واحدة وطريقة واحـدة في التعبـير عن هـذه الحقيقـة، وأن من يخـالف هـذا فعقوبته واحـدة هي المـوت. ويبـدي رشـيد تأييـده لـدعوة نسرين للمطالبة بحقوق المرأة .

ويـذكر كـاتب المقـال رأي البروفيسـور علام أعظم رئيس الجماعة الإسلامية الذي يقـول فيـه: "تسليمة امـرأة لا أخلاقية ولا أعـرف لمـاذا يغـامر الغرب في مخاصمة العالم الإسلامي كله من أجل امرأة."

ونشـرت الصـحيفة في العـدد نفسه رسـالة من مساعدة سـكرتير رابطة نسـاء بنجلاديش في بريطانيا تنتقد موقف صحيفة التايمز من تأييد هذه المارقة وتسـاءلت ما ذا لو أن مواطنـاً بريطانيـاً ارتكب جريمة ثم لجأ إلى سـفارة أجنبية فهل سيكون موقف التايمز منه هو موقفها من المارقة البنجلايشـية. وأوضـحت صـاحبة الرسـالة أن ما فعلته نسـرين ليس من قبيل حرية التعبـير ولكنه إطلاق تصريحات عدوانية ضد عقيدة الأمة.

وفي السادس عشر من يوليه نشرت التايمز مقالة بعنـوان " الكاتبة الهاربة تتوسل المسـاعدة حيث بعثت رسـالة إلى منظمة العفو الدولية تتوسل فيها أن تنقـذها من خطر القتل الـذي يتهـددها في بنجلاديش. ويـذكر كـاتب المقـال أن المنظمة الدولية قد انتقدت الحكومة البنجلاديشية لفشلها في حماية الكاتبة الـتي تنكر ما نسب إليها من تصريحات كما طـالبت الكاتبة منظمة الكتّـاب الدولية مسـاعدتها في الحصـول على حق اللجـوء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ويشير الكاتب إلى إمكانية هروب نسـرين بطريقة سـرية يشارك فيها بعض المسؤولين الحكوميين.

ويواصل كــاتب المقــال -مراسل صــحيفة التـايمز في دكـا- كريسـتفور تومـاس كتابته حـول الموضـــوع حيث يكتب يـــوم 19 يوليو بعنـــوان (المسلمون يخططون للقيام بمسـيرة كـبرى ضد الكاتبة نســرين) ويبــدأ مقالته بـــالقول " يُعِـــدُّ المناضلون المسلمون للقيـام بمسـيرة كـبرى إلى دكا في حملة كراهية متعاظمة ضد تســــــــليمة نسـرين البالغة من العمر 32 سـنة المتهمة بإهانة الـدين الإسـلامي." ويقـول " إن بنجلاديش حـتى الآن ليست دولة إسـلامية - اسـتطاعت أن تـدافع ضد المتطرفين الـدينيين أكـثر من باكسـتان الـتي تعتقل المــرأة الــتي تتهم بأنها اغتصــبت وتطبق قانون تحريم المشروبات الكحولية، ويرى الكـاتب أو المراسل أن التفاؤل لدى العلمانيين التحديثيين الـــذين ظهـــروا بعد أول انتخابـــات حـــرة ســـنة 1991بدأ بالـذبول بسـبب ارتفـاع حـرارة الصـراع السياسي. ويشير إلى أن انتشار آراء الكاتبة ليس لأنها كاتبة متميزة أو أنها شخصـية مهمة ولكن لأن هذه الكتابات قد أسهمت في ارتفـاع نسـبة توزيع الصـحف الـتي نشـرت آراءهـا. وذكر المراسل أن الترجمة الإنجليزية لرواية تسـلمية نسـرين تـوزع في الهند من قبل المنظمة الهندوسـية المتعصـبة (جاناتـا) الـتي تشـعر بالبهجة لرؤية الإسـلام يُنتقد من قبل كاتب يحمل اسماً إسلامياً.

وآخر ما نشـرته التـايمز في هـذا الأسـبوع (14-20 يوليـه) خـبراً عن وكالة رويـتر مفـاده أن

الاتحاد الأوروبي قد عـرض على الكاتبة ملجـأً في أوروبا ، وقد جــاء العــرض على لســان كلاوس كينكل وزير الخارجية الألمـاني بقولـه:" إن وزراء خارجية الاتحـاد الأوروبي قد وافقـوا في بروكسل على الاتصــال بــدكا لحماية الكاتبة النســائية والسـماح لها بمغـادرة البلاد إذا رغبت في ذلـك". وقــال إنه اجتمع بســفير بنجلاديش في بــون لمناقشة أمر نسرين. وأضافت رويـتر أن كتـاب أو رواية نسرين "الخجل" قد أوقف بيعها بعد انتشـار الترجمة الإنجليزية.

لماذا كل هذا الاهتمام بهذه الكاتبة المارقـة؟ ألا يمكن أن تكــون أوروبا قد شــعرت بالغبطة والســرور لظهــور كاتبة تحمل اســماً إســلامية وتطعن في الإسلام كما هو الحـال مع الهنـدوس؟ أليس هـــذا ما تفعله أوروبا مع كل مـــارق قبل نســرين وبعــدها؟ أليس في أوروبا خــارجون عن مجتمعاتها ...أليس من حقنا أن نحتضــــــنهم ونؤيــــدهم، ونعــــاقب بالمثــــل؟ أرجو أن يتخذ المسلمون موقفاً واضـحاً وصـريحاً من مثل هـذه القضايا التي لا ولن تتوقف. والله الموفق.

هل يســـيء الإســـلام حقـــاً للمرأة؟

عـــرفت مجلة ال(ريـــدرز دايجســـت) Readers Digest بأنها مجلة ثقافية عامة تحـرص على الابتعـاد عن الموضـوعات الحساسة الـتي تسـيء إلى عقائد الشـعوب وأديانها وقيمها حـــتى ســـعت بلاد كثـــيرة لترجمتها إلى لغاتها ووافقت على نشرها بين مواطنيهـا. وتعـرف هـذه المجلة بترجمتها العربية باسم (المختار)

وعنـــدما ارتفعت في الغـــرب موجة العـداء ضد الإسـلام عقيـدة وشـريعة بعد سـقوط الشـيوعية سـقطت هـذه المجلة ورأت أن تسـهم بـــدورها في هـــذه الموجة عنـــدما نشـــرت مقالة بعنـــوان (يهـــان النســاء بل يّمثّل بهن .. كل ذلك باسم الإسلام) وجـاء في ديباجة المقالة أن امـرأة مسلمة نـزلت في مطـار مونتريـال بكنـدا وطلبت السـماح لها بـاللجوء بسـبب التفرقة ضد الجنس في بلادها ، وزعمت أنها إن لم تعط حق اللجـــوء فسوف تكـون حياتها في خطـر، وكل جريمتها أنها تـرفض الخـروج مغلفة بالسـواد من رأسـها حـتى أخمص قـدميها. وذكـرت المجلة أن هـذه المـرأة التي تبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة قد رُفض طلبها في البداية لأن الســـلطات الكندية كـــانت مترددة في التصـديق بـأن النسـاء يعشن في ذلك البد الإسـلامي مواطنـات من الدرجة الثالثة حيث يمنعن من الــزواج ممن يـــرغبن ، ولا يســـمح لهن

بالســـفر إلاّ بصـــريح مكتـــوب من أحد الأقـــارب الرجـال وأنهن يتعرضن للمعاملة السـيئة من قبل الشرطة الدينية. وأضـافت المجلة أن السـبب في عــدم الســماح للمــرأة بــاللجوء لخوفها من فتح الباب الذي قد يؤدي إلى تـدفق الهجـرة النسـائية حيث يبلغ تعـــداد نســـاء المســـلمين أكـــثر من خمسمئة مليـون امـرأة ولا قـدرة لكنـدا على مثل هذا العدد.

وهكـــذا أظهـــرت الســـلطات الكندية حسب رواية المجلة أريحية وكرماً وأنقذت المرأة من حياة مواطن الدرجة الثالثة. لكن هل سـمحت هـذه السـلطات لأحد أن يشـرح لها حقيقة موقف الإسـلام من المـرأة؟ وهل بلد يضم مراكز بحـوث ومعاهد للدراســات الإســلامية يجهل مثل هـــذه المسـألة؟ وما الاضـطهاد في أن تخـرج المـرأة محتشـــمة لا تبـــدي زينتها إلاّ لمن أحل الله له أن يـرى هـذه الزينـة؟ هلي عيبـاً أن تكـون المـرأة كالجوهرة المصـونة ؟ أليس هـذا الأمر أفضل من امتهانها والســـماح لها بـــالخروج عارية أو نصف عارية أو به عاريـــة؟ أليس هـــذا أفضل من جعلها وجعل جســدها أداة لــترويج الســلع من إطـارات السيارات حتى مقاعد الطيارات وما بين ذلك؟

لقد ارتضى المســلمون والمســلمات أوامر ربهم منذ أكـثر من ألف عـام أن لا تسـافر المـرأة إلاّ بمحـــــرم أي زوجها أو أخيها أو أبيها أو ابنها أو من في حكمهم، فما الداعي لسـفرها بلا رقيب أو

حسـيب أو من يحميها ويحـرص عليهـا؟ أليس في هذا صيانة لها وحماية.

وأخـــذت المجلة بعد الديباجة تتحـــدث عن "الأصـوليين" ومـوقفهم من المـرأة فـزعمت أنهم بـدؤوا يقبضـون على زمـام الأمـور الاجتماعية في البلاد الإسـلامية بلـداً تلو الآخـر. وأنهم يفسـرون القـرآن والحـديث والشـريعة بطريقة انتقائية مما اضطر حكومات تلك البلاد لتقليص حقـوق النسـاء حتى عن كثيراً من هذه البلاد أباح تعـدد الزوجـات وطلاق المـرأة بمجـرد قـول الرجل (أنت طـالق) ورفض حق المــــرأة في الطلاق، وفي حضـــانة الأطفــال. وأطــالت المجلة في موضــوع ختــان المرأة والممارسات المختلفة في هذا الشأن.

وحاولت المجلة –ذراً للرماد في العيـون- أن تــبرىء الإســلام من التهمة لأن هــذا الــدين هو الأســرع انتشــاراً في العــالم ولكن الــذنب ذنب الأصــوليين الــذين يجعلــون من الإســلام عصــاً يخوفون بها.

لمـاذا تنسـاق مجلة مثل (ريـدرز دايجسـت) إلى هــذه الموجة المحاربة للإسـلام؟ هل المــرأة المسـلمة عزيـزة على قلـوبهم إلى هـذه الـردة؟ لمـاذا لا تتنـاول المجلة قضـية امتهـان المـرأة في الغــرب؟ ألا تتعــرض المــرأة لــديهم للاغتصــاب والضـرب والامتهـان؟ أين هـذه المجلة من كارثة هروب الأبناء والبنات أو خطفهم؟ أين هذه المجلة من موجة العري والإيدز التي أصـابت المجتمعـات

الغربية؟ أين هـذه المجلة من نسـبة الطلاق الـتي تكــاد تماثل الزيجــات وقد تزيد عنهــا؟ أين هــذه المجلة من التحلل والتفسخ الــــذي يعــــاني منه الغرب؟

ينبغي على المجلة لكي تبتعد عن موجة العـداء للإسـلام والمسـلمين أن تبحث عن علمـاء مسـلمين فتسـألهم رأيهم في مثل هـذه القضـايا فليس كل ما ارتضـــاه الغـــرب هو الأفضل في العـالم. ألا يتوقفـوا عن نـبرة الاسـتعلاء والكبريـاء هذه؟

ليعلم الغـرب أن الإسـلام قد كـرّم المـرأة حقيقة وأعلى من شـأنها وحفظ لها حقوقها ولكن ريــــدرز دايجست قد لا تريد معرفة الحقيقة فلم تسأل من يحق له الحديث باسم الإسلام.

ولولة نسائية في صحافة الغرب!!(*)

كتبت في مقالة سـابقة عن مجلة "ريـدرز دايجست" Readers Digest –المختار الواسعة الانتشـار وتناولها لقضـية المـرأة في الإسـلام وزعمها أنه باسم الإسلام تهان المرأة ويساء إليها، وأوضـحت أن ذلك سـببه الجهل أو تعمد تشـويه صـورة الإسـلام في الغـرب لأن المجلة رأت أن تركب الموجة المحاربة للإسلام كغيرها من صحف الغرب.

وفي هذه المقالة أتناول موضوع المـرأة من جـانب آخر لا يتحمل مسـؤوليته الإعلام الغـربي وحده بل يشارك في ذلك بعض نسـاء المسـلمين ممن تعلمن تعليمـاً غربيـاً أفسد عليهن عقـولهن فلم يعدن يدركن الحقيقة.

نشـرت جريـدة لـوس أنجلـوس تـايمز Los Angeles Times في أول أبريل 1994م رسالة من مواطنة عربية مسـلمة رمـزت لاسـمها ب "فاطمة ب". وجـاء في هـذه الرسـالة أن من أسمتهم بالإرهابيين المتطرفين يهـددون بالقتل أي امـرأة لا ترتـدي الحجـاب ، وتـذكر بالفعل حـالات قتلت فيها نسـاء لم يخضـعن للتهديـد. ولم تكتف صاحبة الرسالة بموضـوع الحجـاب بل أضـافت :" إذا كان هذا هو مصـير من لا ترتـدي الحجـاب فما

---

* نشرت في صحيفة **المدينة المنورة ،** عدد 11359 ، 26 ذو القعـدة 1414، الموافق 7 مـايو 1994. (الصـفحة الإسلامية)

مصـير من تكـون في زيـارة لصـديق لها أو كـان صديقها في زيارتها.؟". لاشك أن مصـيرها سـيكون القتل أيضاً.

وتضيف صاحبة الرسالة أنه لا يكـاد يمر يـوم في بلـدها دون أن يقتل صـحافي أو زعيم عمّـالي أو محام أو حتى أناس عاديون. وليس "للإرهابيين " من عـذر –في زعمهـا- سـوى أن هـؤلاء النـاس مستغربون فاسدون لا يمكن إصلاحهم.

وما ذا تريد هذه الفتاة من نشر رسـالتها في إحـدى كبريـات الصـحف الأمريكيـة، إنها تطـالب الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا أن تتخذ موقفاً حازماً من هـذه الحركـات فهي- صاحبة الرسالة – تـرى أن أمريكا قد سـاعد الحركة الإسـلامية (المتطـرفين) في بداية الأمر وهـاهي تجـني ثمـرة هـذه المسـاعدة. أما الدولة الأخـرى (فرنسـا) فإنها وقفت تنتظر نتـائج الانتخابـات لـترى من ينتصر ومع ذلك لم تفعل شيئاً.

ولتزيد اسـتعداء الغـرب على الحركـات الإسـلامية أو من أسـمتهم المتطـرفين الإرهـابيين زعمت أن هؤلاء ينظرون إلى المـرأة الغربية على أنها "قـذرة وداعـرة". وأنها ومن على شـاكلتها لا ينظرن هذه النظرة إلى المـرأة الغربية ، بل إنهن يحـترمن المـرأة الغربية ويـردن أن يصـبحن مثل نساء الغرب أو على الأقل يعشن كما يشـان فمن

رضــيت الحجــاب ارتدته ولم لم يعجبها الحجــاب تركته.
وا أســـفاه على هـــؤلاء النســـوة ومن على شــاكلتهن ..لم يكتفين بــرفض الحجــاب بل رحن يشــكين ويولــولن في صــحافة الغــرب ، هــذه الصحافة الـتي طالما فتحت أبوابها لكل الـدعوات الهدامة منذ دعـــــــــوة القومية ورفض الجامعة الإسلامية. إن تاريخ الإعلام الغربي وتشـجيعه لكل المطبلين والمرجفين في عالمنا العربي الإسلامي حافل وطويـل. فلمـاذا يهتم الغـرب بهـؤلاء ؟ هل يفعل ذلك دفاعـــاً عن حق المـــرأة في بلادنا ؟ ومتى فقدت المرأة في بلادنا حقوقها حتى تطلبها في صحافة الغرب؟
ما ذا فعلت صـــحافة الغـــرب حينما مُنِعت النســاء المســلمات أو التلميـذات الصـغيرات في فرنسا من ارتداء الحجاب؟ هل أقـاموا الـدنيا ولم يقعــدوها أو هل ســكتوا ســكوت الأمــوات؟ ما ذا فعلت صـــحافة الغـــرب من انتهـــاك الأعـــراض المســلمة في البوســنة وفي كشــمير وفي بورما وفي الهند وغيرها؟ ألا يا صحافة الغــرب كفّي عن التبجح بالحرية والـــدفاع عن الحريـــات. ويا أيتها المرأة المسلمة الشـاكية على صـفحات الصـحف الغربية أفيقي فإنها مـــؤامرة خبيثة لإخراجك من حجابك وحشـــمتك ووقـــارك.. وإيـــاك أن تعطي المـــرأة الغربية من الاحـــترام و التبجيل ما هي أعـــرف بحقيقتـــه. إن واقعها يـــدل على أنها في

مأســاة مريعة ، إنها تتعــرض للاغتصــاب والإهانة والإذلال في بلادها ، لقد أصــبحت ســلعة تــروج بجسدها ومفاتنها لكل أنواع البضائع.

وأخـيراً فهل حقـاً توجد جماعة إسـلامية في أي بلد عربي مسلم تقتل من لا ترتـدي الحجـاب؟ أما الـتي تريد أن تـدنس عرضـها بمخادنة الرجـال فحكمها قد نزل في القرآن الكريم فإما أن تكــون محصـنة أو غــير ذلك وعليها أن تواجه العقوبة في البلاد التي تطبق شرع الله.

اللهم ارحمنا برحمتك ونجنّا من هـــــــؤلاء الشاكين إلى الغرب.

كتاب من يكتبه؟

كتب قيس الغزاوي تحت عنوان (كتاب أتمنى لو ما (لم) أقرأه) في مجلة **المجلة** (8-14نوفمبر 1998م) عن كتاب ألفّه نائب رئيس تحرير صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية ويتضمن الكتاب رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسي حول الموقف الذي يجب أن تتخذه فرنسا من المهجرين من المسلمين. ويتضمن الكتاب رسالة قوية تدعو إلى دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي والقضاء على تميزهم العقدي والأخلاقي والثقافي.

ونظراً لخطورة هذا الكتاب بما احتواه من افتراءات على الإسلام والمسلمين في قضايا عديدة منها أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات، ويمنع الاختلاط بين الجنسين، وفيه مؤسسة الزكاة. فليس الإسلام مجرد حجاب قد يسمح به الفرنسيون وقد لا يسمحوا. ويزعم المؤلف أن الرئيس الفرنسي يوافقه بأن فرنسا استطاعت أن تدمج المهاجرين البولونيين، والإسبانيين، والإيطاليين، وبالتالي فلا يمكن أن تتهم فرنسا بالعنصرية، ولكنها فشلت في دمج المسلمين. فما يبقى للمسلمين إلاّ أن يطالبوا بالسيطرة على فرنسا.

ويعلق الأستاذ قيس الغزاوي بقوله: "المثير أن رجلاً بمثل أهمية دي جاردان يقف على رأس صحيفة كبرى يؤكد أن الإسلام غاز لفرنسا

ويســـتنتج :طالما لا يحب الفرنســيون العـــرب والخيـــار هنا بين الإســـلام والجمهورية فليُـــرمى المســـلمون إذن خـــارج الحـــدود ..." ويضـــيف الغـــزاوي "والعجب العجـــاب ليس فيما يقوله دي جـاردان ولكن بسـكوت العـرب والمسـلمين على مثل هذه الأحكام العنصرية في فرنسا التي تحاكم من يشكك بمحرقة اليهـود وهي جـزء من التـاريخ ولا تحاكم من يحـرّض على قتل المسـلمين اليـوم ...ولكن هل اشتكى أحد من العرب؟".

لا بد من تقديم الشكر للأستاذ قيس الغزاوي على ملاحظاته السـريعة وتعجبه من عـدم تحـرك المسلمين للاحتجاج على هذا الكتـاب ولكن يمكن توجيه الـدعوة إلى العلمـاء المسـلمين في فرنسا أو الـذين يتقنـون اللغة الفرنسـية أن يكتبـوا كتابـاً للـــرئيس الفرنسي ليس رد فعل على كتـــاب دي جـــوردان ولكن ليوضـــحوا للـــرئيس الفرنسي ما فشل في فهمه نـائب رئيس تحرير لوفيغـارو من أن الإسـلام لو فهمه الفرنسـيون لكـان حلاً لكثـير من معضلاتهم الاجتماعية والاقتصادية.

ماذا يمكن أن يقال للرئيس الفرنسـي؟ أبـدأ بكلمة كتبها الأســـــتاذ رضا لاري في أحد مقالاته حـــول موقف الغــرب من الإســـلام (فتح النافــذة الإسـلامية، **الشـرق الأوسط** 17/6/1998م): "هل الحرية في فرنسا تـــبيح للمـــرأة أن تكشف عورتها بظهورها شـــبه عارية في ملهى "الليـــدو" وغـــيره من الملاهي المماثلة في فرنسا وتحـــرم

نفس الحرية غطاء المرأة لرأسها ؟ إذا كانت هذه هي الحرية عندكم فتباً لها من حرية."

ويـزعم الكـاتب الفرنسي أن الإسـلام أبـاح تعـدد الزوجـات والمجتمع الفرنسي يـرفض ذلـك، ولكن ما بـال المجتمع الفرنسي لا يـرفض تعـدد الخليلات واسـألوا أحد الشـوارع المتفرعة من شـارع الشـانزليزيه ما ذا يحـدث عنـدما تقف السـيارات في طـرفي الشـارع؟ أي بهيمية هـذه الـتي يرضى الرجل لزوجه أن يأخـذها رجل آخر يسلمها له بيـده أو يوصـلها وهي تـذهب؟ واسـألوا من اعترف بـأولاد من الزنا هل حقق لهم الكرامة الحقيقية فلو كـان متزوجـاً بـأمهم لكـانوا أولاده شرعاً.

أليست الإباحية في المجتمعـات الغربية هي التي أدت إلى أن يشك الأبناء بآبـائهم حـتى بـدأت المختـبرات تنتشر في المجتمعـات الغربية تكشف للأبنـاء عن حقيقة أبـوة من يـدعي أنه أبـاهم. أما عند المسـلمين فمجـرد شك الابن بأبيه يعد من الكبائر ذلك أن المجتمع المسلم قائم أساساً على الفضـيلة والعفـة. وقد تعجب مـدير أحد الفنـادق الذي عقد فيه المـؤتمر السـنوي لجمعية مسـلمي شمال أمريكا عندما رأى عدة آلاف من المسلمين يجتمعون عـدة أيـام فلا تـراق قطـرة خمر واحـدة ورأى من عظمة الأخلاق الإسلامية ما أدهشه.

وإذا لم يعجبه أن يتوقف المسـلمون في رمضان لتناول الإفطار فإن الصوم عند المسلمين

لو عرفه الفرنسيون معرفة حقيقية لتهافتوا عليه؛ فإنه تربية وتهذيب وتزكية وتطهير. الصوم الذي يُشعر الغني بحال الفقير، والذي يربط العبد بخالقه حين ترتفع الحالة الروحية للمسلمين في هذا الشهر بما يقومون به من عبادات.

فمن يكتب الكتاب ويوجهه إلى رئيس الجمهورية الفرنسي وإلى العالم أجمع؟

ولا تكرهوا فتياتكم

ما إن أعلن مكتب العمل الـــــــدولي دعوته للحكومـات أن تعـترف بالبغـاء مهنة رسـمية ودعا إلى الإفادة منها في الاقتصـاد مـذكراً أن إيـرادات الفاحشة في بعض دول جنـوب شـرق آسـيا بلغت أربعة عشـــرة بالمائة من إجمـــالي الـــدخل أو عشرات البلايين سنوياً، حتى انبرت الأقلام تهـاجم هذه الـدعوة. ومن الـذين قـرأت لهم الـدكتور عبد القـــادر طـــاش (10جمـــادى الأولى 1419هـ) والأسـتاذ محمد أحمد الحسـاني (6جمـادى الأولى 1419هـ).

وحق للغيـورين أن يكتبـوا ويهـاجموا ويـؤدوا الأمانة التي أنيطت بهم حين حملوا أمانة الكلمــة. وقد كـانت جريـدة (**الحيـاة**) هي الوحيـدة (الـتي اطلعت عليها) التي نشرت الخـبر وكـان ذلك يـوم 28 ربيع الآخر 1419هـ)20 أغســطس1998م). لكن هل الأمر مرتبط بمكتب العمل الدولي أو إنه مرتبط بالحضـــارة الغربية عمومـــاً ؟ أو هل هو مرتبط بالسـلوك البشـري الجـاهلي في أي زمن وفي أي بلد؟

ثمة آية قرآنية كريمة تنـاولت البغـاء وإكـراه الجــواري على البغـاء إن أردن تحصـناً ، فقد ذكر القرطـــبي أن الإســلام حـــرّم إكـــراه الفتيـــات (الجـــواري) على البغـــاء إن أردن تحصـــناً. وأما الشــيخ أبو الأعلى المــودودي ففي كتابه (تفســير سورة النور) تناول هــذا الأمر بتوسع حيث ذكر أن

الإسـلام أراد تحـريم الزنا والفجـور فمنع الإكـراه ،وأن الجارية إن كـانت تـرتكب الزنا فالمسـؤولية تقع عليها.

ولم يكتف الإسـلام بهـذا بل جـاءت الآيـات والأحـاديث تنهي عن الفجـور وهي كثـيرة جـداً. ولكننا نتوقف عند الأمـور المتعلقة بالبغـاء فقد وردت الأحـاديث الـتي تعد هـذا الكسب أخبث كسب كما جـاء عن كسـبها بأنه (خـبيث وشر المكاسـب)(أبو داود والترمـذي وأحمد والنسـائي) وروى البخـاري عن أبي جحيفه (أنّ النـبي صـلى الله عليه وسـلم حـرّم مهر البغي). ويقـول المـودودي " إنّ الآية لا تريد منع النـاس إكـراه إمـائهم عن البغـاء فحسب ، بل هي تريد في حقيقة الأمر أن تقـرر الاحـتراف بـالفجور مخالفـاً لقانون البلاد في حـدود الدولة الإسـلامية ، كما أن فيها إعلاناً للعفو والمغفـرة للنسـاء اللاتي أكـرهن على الفجور بدون رضاهن."

والمسـألة أعمق من ذلك في الإسـلام فقد أنـزل الله عز وجل من التشـريعات والآداب والأخلاق ما يجعل انتشـاء البغـاء والرذيلة من أبعد الأمـور عن المجتمع الإسـلامي. ومن السـور العظيمة الـتي تضع وضـعت القواعد الأخلاقية للمجتمع المسـلم سـورة النـور فهي وإن كـان الموضـوع الـرئيس فيها هو حادثة الإفك الـتي استغلها المنافقون لمحاولة محاربة هذا الدين في أخلاقه وعفته وفضـيلته كما يقـول في ذلك

المودودي "لقد كان المنافقون يريدون أن يهزمـوا المســلمين في ميــدان الأخلاق"، فــإن فيها من الـدعوة إلى الفضـيلة الشـيء الكثـير حـتى قـال الفقهاء (علّموا نساءكم سورة النور)؛ ففيها آيــات تـأمر أمهـات المؤمـنين بـأن يلـزمن بيـوتهن ولا يخــرجن بغــير حاجة ولا يتــبرجن تــبرج الجاهلية الأولى ، وفي السورة أيضـاً أمر للرجـال والنسـاء بغض البصر وأمر للنســاء بعــدم إبــداء الزينة إلاّ للمحــارم وتنظيم دخــول بيــوت الآخــرين وتنظيم الاســتئذان على المحــارم وغــيرهم وعقوبة الزنا والتشــديد فيها وعلمية اللعــان وغــير ذلك من التشريعات.

أما موضوع البغاء فهو قديم في المجتمعـات الجاهلية ولما دخلت الجيـــــــوش الأجنبية اللابد الإسلامية ابتداءً من حملة نابليون حاولت أن تنشر البغـاء، ويقـول الجـبرتي إنه بالإضـافة إلى البغايا المرافقات للجيش الفرنسي فقد قام الفرنسـيون باختطاف بعض النساء المصريات وأجبروهن على العيش بين نســائهم وبالتــالي تقبلن الحيــاة الفرنسـية وما فيها من تـبرج وتحلـل. وقد أدخلت الجيـوش الأجنبية البغـاء في منـاطق مختلفة من العالم الإسلامي (جعلوه أمراً معترفاً به رسـمياً). ولذلك فليس من الغـريب أن تـأتي منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة بمثل هـذه الـدعوات وقد سـبق ذلك ما حـاولوا فرضه في المـؤتمرات العالمية كمـؤتمر السـكان في القـاهرة ومـؤتمر

المرأة العالمي الرابع في بكين ومـؤتمر اسـتنبول وغيرها.

علينا أن نعلم البشرية العفة والفضـيلة الـتي جاءت بها تعـاليم الإسـلام فـإن هـذا الضـلال ليس جديداً على الحضـارة الغربية ولكن أين دورنا نحن ؟